

نظرية محورية القرآن الكريم وأثرها في التفسير والفقه القرآني

The centrality theory of Holy Quran

and its impact on Quranic interpretation and jurisprudence

م.د. رحيم علوان عبد شاهر الابراهيمي Dr. Rahim Alwan Abdel Shaher Al-Ibrahimi

كلية الفقه / جامعة الكوفة Faculty of Jurisprudence/University of Kufa

raheema.alibraheemi@uokufa.edu.iq

ملخص

يختص هذا البحث بنظرية محورية القرآن، وأثرها في التفسير والفقه القرآني، والتي لاد بها أصحابها اعتبار القرآن المصدر التفسيري والتشريعي الوحيد دون الرجوع الى السنة الشريفة او امرٍ آخر محتجين بعدة أدلة، وقد تبناها ما يصطلح عليهم بـ (القرآنيون)، والذين بدورهم ينقسمون الى القرآنيين الأوائل القدماء: وهم الذي رفعوا شعار (حسبنا كتاب الله) عند استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والقرآنيين الجُدد الذين ينقسمون بدورهم القرآنيين بالحد الأعلى الذين سلخوا نفس مسلك القدماء بلباس جديد ولهم أنصارٌ في داخل المدرسة السنّية فقط، وليس لهم أنصار داخل المدرسة الشيعية والى القرآنيين بالحد الأدنى: وهي فرقة أثبتت لها حضورٌ في الوسط السنّي وفي مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) معاً وتقوم نظريتهم على مفهوم الحصر فهم يقولون: إنّ القرآن الكريم هو المرجعية المعرفية الحصرية التي يمكن من خلالها فهم الإسلام أي أنّه لا يمكن فهم الإسلام في نظامه العقائدي والتشريعي والأخلاقي.. إلا من خلاله، وكلّ المرجعيات المعرفية الأخرى المفترضة لا أساس لها في الإسلام بما في ذلك السنّة بكلّ معانيها والإجماع، والشهرة السيرة وسنّة السلف؛ فكلّ هذه المفاهيم ليست أساسا في الاجتهاد الديني، ولا هي بمصدرٍ يمكن الرجوع إليه في فهم الإسلام، وليس أمامنا بغيّة فهم الإسلام سوى القرآن الموجود بين أيدينا، دون غيره من المصادر وسننين فحوى هذه النظرية ورأي اصحابها، وأدلتها ومن ثم تحليلها ونقدها وبيان آثرها على التفسير والفقه بمطالب متعددة سنستعرضها في متون هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: النظرية، المحورية، القرآن، السنة، الأثر، التفسير، الفقه.

كانون الأول ١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٤ م

السنة: التاسعة عشرة

العدد: ٤٩



<https://doi.org/10.36324/fqhi.v1i49.17571>



Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مجلة كلية الفقه - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤.٠ الدولي



Abstract

This research is concerned with the theory of the centrality of the Qur'an and its impact on Qur'anic interpretation and jurisprudence, in which its proponents intended to consider the Qur'an as the explanatory and legislative source without referring to the Noble Sunnah or something else, citing several pieces of evidence. It was adopted by what is known as the Qur'anists, who in turn are divided into the Qur'anists. The ancient pioneers: They are the ones who raised the slogan "The Book of God is sufficient for us" upon the martyrdom of the Messenger of God (may God bless him and his family and grant them peace), and the new Qur'anists who and those who in turn are divided into the Qur'anists at the highest level :. Those who followed the same path as the ancients in a new guise, and they have supporters within the Sunni school only, and they have no supporters within the Shiite school, and to the Qur'anists at a minimum: a sect that has proven its presence in the Sunni community, and in the school of Ahl al-Bayt (peace be upon them) together, and their theory is based on the concept of exclusivity. They say: The Holy Qur'an is the exclusive cognitive reference through which Islam can be understood, meaning that Islam in its doctrinal, legislative and moral system cannot be understood except through it, and all other supposed cognitive references have no basis in Islam, including; The Sunnah in all its meanings, consensus, fame, biography, and the Sunnah of the Salaf...; All of these concepts are not a basis for religious ijtiḥād, nor are they a source that can be referred to in understanding Islam, and we do not have the goal of understanding Islam. What is in our hands, and no other sources, and we will explain the content of this theory, the opinion of its proponents, and its evidence, and then analyze and criticize it, and explain its effects on interpretation and jurisprudence with multiple demands that we will review in the following research contents.

Keywords: theory, pivotal, Qur'an, Sunnah, impact, interpretation, jurisprudence.



مقدمة

وتتنظم بطبيعتها وفق ضوابط البحث العلمي المعاصر على فقرات عدة نوجزها

بما يلي:

موضوع الدراسة: يتناول موضوع الدراسة نظرية محورية القرآن وبيان اثر هذه النظرية على التفسير والفقه القرآني بشكل مقتضب.

بيان المسألة: طيف من المسلمين يعتقدون بأن القرآن المصدر التشريعي الوحيد للأحكام الشرعية، ولا يوجد مصدر آخر غيره ولا يرجعون الى السنة الشريفة مطلقاً، ويسمى هؤلاء القرآنيون وينقسمون الى قرآنيين قداماء وجدد ولهم اتباع وانصار، فهم واتباعهم يعدون القرآن الكريم محوراً ومرجعاً لمعرفة التفسير، وبيان الاحكام الشرعية، ولا يرجعون لغيره.

سؤال الدراسة الرئيس: ما نظرية محورية القرآن، وما أثرها في التفسير والفقه القرآني؟

فرضية الدراسة الرئيسة: القرآنيون القداماء والجدد بحديثهم الأعلى والادنى يعتقدون بأن القرآن المحور الرئيس لفهم النص القرآني وتفسيره، ومصدراً وحيداً لاستنباط الحكم الشرعي، مما أثر هذا الرأي سلباً على تحقيق مراد الله تعالى لديهم، حيث لا يستطيع مسلم واحد أن يستغني عن السنة الشريفة لفهم القرآن، ومعرفة الفرائض والأحكام الشرعية التي فرضها الله تعالى على الناس جميعاً.
الدراسات السابقة:

الدراسة الاولى: اسلام محورية القرآن: تأليف كمال الحيدري، سلسلة اصدارات ضمن مشروع من اسلام الحديث الى اسلام القرآن.

هذا يتناول الانتقال من اسلام الحديث الى اسلام القرآن بأدلة وحجج ذكرها المؤلف في مضامين كتابه.

بينما الدراسة الحالية تتمحور حول نظرية محورية القرآن و أثرها في التفسير والفقه القرآني.



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ ١٤٤٦





الدراسة الثانية: محورية القرآن الكريم وكفى: مقال للشيخ محمد العبيدان القطيفي على موقع الرسمي، يتناول في هذه المقال آراء اصحاب هذه النظرية وادلتهم الروائية والقرآنية ويحاول نقدها وردها وتفنيدها.
بينما الدراسة تحت النظر تحاول بيان مفهوم النظرية واستعراض ادلت اصحابها ونقد وتحليل آرائهم وبيان أثر هذه النظرية على التفسير والفقهاء القرآني.
الدراسة الثالثة: محورية القرآن وكفى مصدراً وحيداً للشريعة الاسلامية دراسة استجواب وتحليل للدكتور: نادر سعيد الخاطر تعتمد على تحليل الحوار النقدي إلى العلامة المفكر الديني الشيخ محمد العبيدان، من برنامج الانتقاد الحواري، حيث الدراسة ترصد نظريات في مرجعية القرآن ومدى فعالية تلك النظريات.
بينما الدراسة الحالية تتناول نظرية المحورية وبيان أثرها على التفسير والفقهاء القرآني.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة لبيان مفهوم نظرية محورية القرآن وادلة اصحابها ومسمياتهم وما يعتقدون به، وأثار تلكم النظرية على التفسير والفقهاء القرآن نتيجة لمعتقدهم المتطرف.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة كونها تحاول دراسة نظرية محورية القرآن وما يعتقد به اصحابها وعرض ادلتهم، وبيان أثرها في التفسير والفقهاء القرآني.

هيكلية الدراسة: تنقسم الدراسة على ثلاثة مباحث يتناول المبحث الاول: معنى النظرية واصحابها ويتعرض لتفصيل ذلك بعدة مطالب ومقاصد ويتناول المبحث الثاني: ادلة النظرية، ويتعرض لبيانها وتحليلها ونقدها وبيان هفواتها، ويتناول المبحث الثالث: أثر نظرية محورية القرآن في التفسير والفقهاء القرآني، ويبينها من خلال مطلبين وتنتهي الدراسة بخلاصة ونتائج مهمة وسوف يتم تفصيل ذلك، وكما يلي:



المبحث الاول: معنى النظرية واصحابها.

المطلب الاول: معنى النظرية

إن نظرية محورية القرآن لها معنى نظري، ولها مؤسسون وأتباع ويرى أصحاب هذه النظرية واتباعهم أن القرآن الكريم هو المصدر الوحياني والتشريعي والتفسيري الوحيد، ففيه غنى عما عداه ولا معنى للرجوع الى غيره، و" اعتماد القرآن نفسه لتفسير القرآن؛ لوصف القرآن نفسه (الحيدري. ٢٠٢٢. ١ / ١٦٤)، "بالتبيان وانه لم يفرط في شيء الا بينه "وعد هذا المنهج الالتزام بالقرآن كمرجعية أولى في فهمه بما ينطق عن ذاته" (الاعرجي. ٢٠١٧. ص٨٢)، لكونه لم يفرط في شيء مستدلين ببعض الآيات، وعدد من الروايات.

المطلب الثاني: أصحاب النظرية

إن هذه النظرية يتبناها طيف واسع من المسلمين القدماء والجدد ويطلق عليهم القرآنيون، وبغية الاطلاع على هذا الاتجاه، يحسن بنا التوقف قليلاً مع مفردة القرآنيين لمعرفة حقيقته واستعمالاته، فقد وجد له استعمالان أساسيان هما:
القسم الأول: القرآنيون القدماء.
والقسم الثاني: القرآنيون الجدد.
والجدد بدورهم فرقتان: القرآنيون بالحد الأعلى، والقرآنيون بالحد الأدنى، وفيما يلي تفصيل لذلك:

القسم الاول: القرآنيون القدماء: وهم الذي رفعوا شعار حسبنا كتاب الله، "لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال النبي: هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت، فاختموا فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلّوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوموا."



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ ١٤٤٦



(البخاري. ١٣٧٧. ١١/٦) "وبعد ان رفعوا شعار حسبنا كتاب الله، وجردوا القرآن من حديث الرسول وبدأ بهذا العمل به الخليفة الصحابي ابو بكر، وامر بكتابة نسخة من القرآن مجردة عن حديث الرسول وانتهى العمل على عهد الخليفة عمر، فبدا عمله بمنع نشر حديث الرسول (صلى الله عليه وآله).

وعن زهري عن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستثنى أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: "إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً". (المجلسي. ١٤٠٣. ٣١ / ٩١)

إن الدافع الذي حدا بالفاروق أن يحول دون كتابة السنّة والذي اضطرّه إلى محو كل شيء مكتوب... هو أن لا ينشغل المسلمون فيها عن كتاب الله، وهذا التعليل وارد في أكثر من مرّة مارس بها عمر هذه العملية، كما تروي مصادر الجمهور. (الذهبي. ١٩٧٠. ٦٤/١)

و لكن، من حقنا أن نسأل: ترى هل كان هذا المبرر على قدر كبيرٍ من الأهليّة الواقعية والعلمية!؟

الجواب: لا نريد أن نحتكم في الجواب إلى طبيعة القرآن الكريم، ولا إلى ذات الآراء التي تقول: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أباح الكتابة بعد أن تمّست العقول على فهمه وجُبلت النفوس على التفاعل مع روحه... ولكننا نقول: لو كان هذا التبرير يحمل صفة الشرعية المعقولة، ولو كان على جانب حقيقي من الموضوعية، لاستمر النهي عن التدوين، ولما بدر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذن به، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) أولى من عمر وغيره في درك هذه القضية الحسّاسة، ولرتّب عليها هذا الأثر الذي إنقاح في ذهن عمر (القرطبي. ١٩٨٠. ٧٢/١)، على أن عمر نفسه نقض رأيه بشكل عملي، فقد كتب شيئاً من السنّة (ابن حنبل. ١٩٧٥. ٢٦١/١)، بل روى



المحدث الشهير ابن عبد البر القرطبي، عن الضحاك بن مخلد عن ابن جريح عن عبد الملك بن سفيان عن عمه، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: قيدوا العلم بالكتاب. وبعد وفاته وقعت الخصومة بين بعض الصحابة والتابعين وبني أمية وعصبة الخليفة الثالث، واخذ الخصوم يروون من حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) ما فيه ذم لعصبة الخلافة وكانت بأيدي الخصوم مصاحف فيها من بيان الرسول (صلى الله عليه وآله) ما يستدل به الخصوم في مقابل عصبة الخلافة فقام الخليفة الثالث بتنفيذ شعار جردوا القرآن من حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) واخذ نسخة المصحف المجرد من حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) من أم المؤمنين حفصة واستنسخ منها عدة نسخ من المصاحف المجردة عن حديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، ووزعها في بلاد المسلمين، وجمع مصاحف الصحابة اللاتي كان اصحابها قد دونوا فيها النص القرآني مع ما سمعوه من بيان الرسول (صلى الله عليه وآله) في تفسير آياتها واحرقها جميعا، فاستنسخ المسلمون مصاحف من تلك المصاحف المجردة عن بيان الرسول (صلى الله عليه وآله) (المدرسين ٢٠٠٣/١٠/١٨) واصبح المصحف بعد ذلك اسماً علماً للقرآن المجرد عن بيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومع مرور الزمن لم يعرف المسلمون في القرون التالية أنّ مصاحف الصحابة كان فيها بيان الرسول (صلى الله عليه وآله) مع النص القرآني. القسم الثاني: القرآنيون الجدد: وهما فرقتان: القرآنيون بالحدّ الأعلى، والقرآنيون بالحدّ الأدنى، وستلقي بعض الضوء على كلا هذين الاستخدامين:

الفرقة الاولى: القرآنيون بالحدّ الأعلى: وتنحصر هذه الفرقة في قسم كبير بمن يسمون انفسهم بأهل السنة والجماعة، "ولهذا الاستخدام أنصارٌ في داخل المدرسة السنّية فقط، وليس له أنصار داخل مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وتقوم نظرية الاستعمالين الأوّل على مفهوم الحصر، فهم يقولون: إنّ القرآن الكريم هو المرجعية المعرفيّة الحصريّة التي يمكن من خلالها فهم الإسلام، أي أنّه لا يمكن فهم الإسلام في نظامه العقائدي والتشريعي والأخلاقي...، إلا من خلال وكلّ المرجعيّات المعرفيّة الأخرى المفترضة لا أساس لها في الإسلام بما في ذلك: السنّة بكلّ معانيها والإجماع



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ / ١٤٤٦



والشهرة ولسيرة، وسنة السلف؛ فكل هذه المفاهيم ليست أساساً في الاجتهاد الديني، ولا هي بمصدرٍ يمكن الرجوع إليه في فهم الإسلام، وليس أمامنا بغية فهم الإسلام سوى القرآن الموجود بين أيدينا، دون غيره من المصادر، وما حدا بهؤلاء لاختيار ذلك منطلقان اثنان" (حيدر حب الله: مقال منشور في مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط). وكما يلي:

المنطلق الأول: إنكار حجية السنة الواقعية، فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد لفهم الدين؛ لأن السنة الواقعية ليست بحجة فحتى لو حصل لنا توفيق التشرف برؤية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وسمعنا منه قولاً أو رأينا منه فعلاً دون أن يكون لهما أثر في القرآن، فلا يمكن لنا أن نعتبرهما جزءاً من الدين، نعم؛ قد يجب على سامع هذا القول أو رأي هذا الفعل الالتزام به إذا حمل دلالة إلزامية، لكن هذا ليس من باب كونهما جزءاً من الدين في حالة خلو القرآن منهما وإنما لكونهما أحكاماً ولائية حكومية صدرت من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي هو ولي أمر المسلمين في تلك الفترة الزمنية.

فالقرايينون الجدد " كان ظهورهم الاول للعلن في العصر الحديث في الهند فظهر: (احمد خان، ثم عبد الله جكرالوي في الباكستان ثم غلام احمد برويز في شبه القارة الهندية)، وكان حضورها الفاعل هناك، اما في العالم العربي: (محمد عبدة من مصر و احمد صبحي منصور الذي استقر في الولايات المتحدة الامريكية، وغيرهم. (العربي، عمار، <https://www.aljazeera.net>)

ومن اظهر انكار السنة الكلي والاكتفاء بالقرآن، ابرزهم: (محمود ابو رية، الطيب ابو شادي، احمد زكي، اسماعيل ادهم، محمود ابو زيد الدمنهوري. (بخش. ٢٠٠٠. ص ٢٥-٦٤)

إذن؛ فهؤلاء يؤمنون بمرجعية القرآن الكريم في مقابل إنكار حجية السنة الواقعية؛ فحتى لو ثبتت السنة بطريق علمي كالتواتر، فلا دليل لدى هؤلاء على وجود إلزام في مثل هذه السنة ولا دليل على وجوب إطاعة ما جاء في هذه السنة على فرض



ثبوتها، إلا من باب إطاعة وِي الأمر والحاكم، ومن ثم فلا معنى للحديث عن حجية السنّة النبويّة بعد وفاة النبيّ عندهم. (المرجع نفسه).

المنطلق الثاني: إنكار حجّيّة السنّة المحكيّة يذهب هؤلاء إلى أنّه لو لم نحصر المرجعيّة المعرفيّة بالقرآن الكريم، بل اضفنا إليه السنّة الواقعيّة أيضاً، أي ما صدر عن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) حقيقةً وواقعاً، فلو قدّر لنا الحضور في مجلس الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأمرنا حيناً بأمرٍ ما، فينبغي علينا الالتزام به، وعدّه جزءاً من منظومة الفكر الإسلاميّ ومفاهيمه، وهذا هو الذي نصطح عليه بالسنّة الواقعيّة: لكنّ خيبتنا تكمن في ابتعادنا عن عصر سنّته الواقعيّة، وانسداد الطّرق التي بتوسطها نكتشف سنّته؛ فلا يوجد لدينا أيّ طريق جازم وقطعيّ يؤكّد لنا أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال: كذا أو كذا، بل عموم سنّته المحكيّة والمنقولة في كتب التراث الإسلاميّ من الظنون التي لا ينبغي الركون إليها، وهي ظلماتٌ بعضُها فوق بعض، ولا يتوافر طريقٌ للتأكّد من سلامتها. (ظ: المرجع نفسه).

إذن؛ يعتقد القرآنيّون بالحدّ الأعلى، وهم من ينصرف إليهم إطلاق مفردة القرآنيّون عادةً، أنّ القرآن الكريم هو المرجعيّة الوحيدة في فهم الإسلام دون غيرها، ولا حجّيّة لسائر المرجعيّات الأخرى وعلى رأسها السنّة، وذلك إمّا لكونها لا حجّيّة لها من الأساس حتى وإن بلغتنا بالتواتر، أو لعدم توقّف آليّة للوصول إلى السنّة الواقعيّة القطعيّة في عصرنا؛ لأنّ التواتر الذي يُدعى من هنا وهناك ليس إلا وهماً من وجهة نظرهم، ولا يوجد مصداقاً خارجي له، فهو وإن كان يمتلك قيمته نظرياً بغض النظر عن التفسير الذي نختاره لذلك، سواء وفقاً لأصول المنطق الأرسطيّ أم لأصول المنطق الاستقرائيّ الاحتمالي، لكنّه لا يمتلك أيّ قيمة عمليّة؛ حيث لا يمكننا الوصول إلى نصّ متواتر في هذا الإطار؛ لأنّ الشروط التي يلزم توافرها في التواتر لا تتوافر في أحاديث التراث الإسلاميّ.



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ / ١٤٤٦



الفرقة الثانية: القرآنيون بالحد الأدنى: وهي فرقة أثبتت لها حضوراً في الوسط السني، وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام معاً، بخلاف الفرقة الأولى التي لا نكاد نجد لها حضوراً في الوسط الأممي، وإنما يقتصر على الاتجاه السني فقط.

ومن هؤلاء: (محمد رشاد رضا، أحمد أمين، معمر القذافي، محمود شلتوت، أحمد فوزي، محمد بخيت الحنفي، عبد المتعال الصعيدي). (مرجع سابق. ٢٠٠٢. ص ١٥٣ - ٢٠٢)

ويذهب القرآنيون بالحد الأدنى من خلال اتجاههم الفكري إلى الإيمان بمبدأ: الأيولة والحكومة، بمعنى أنّ على مختلف المرجعيّات المعرفيّة الأوب إلى القرآن الكريم، وينبغي أن تأخذ شرعيّتها وحجّيّتها منه، وأنّ القرآن حاكمٌ عليها جميعاً، فأيّ حديث يبلغنا لابدّ أن يأخذ حجّيّته ومرجعّيته من الكتاب الكريم، وأي حديث يصل فلا بدّ أن يحكمه القرآن، وليس العكس.

ويسمى هؤلاء أحياناً بعنوان: القرآنيون، لكن ليس على غرار الاتجاه الأوّل الذي ينكر السنّة أو الحديث بالكامل، بل هم يؤمنون بالسنّة والحديث، لكنّهم يرون أنّ القرآن العزيز هو من يمنح الاعتبار والحجّيّة لسائر مصادر المعرفة الدينيّة النقلية، ولا يتقدّم على القرآن أيّ حديث أو رواية أو إجماع أو سيرة أو شهرة، بل هو مقدّم عليها جميعاً. (حيدر حب الله. ٢٠٠٣)

وإذا ارتئينا أن نبين الفرق بين القرآنيين بالحد الأعلى والقرآنيين بالحد الأدنى فهو كبير فالقرآنيون بالحد الأدنى يؤمنون بحجّيّة السنّة ويؤمنون بحجّيّة الحديث ولا يحصرون الاجتهاد بالكتاب الكريم فقط لكنهم يقولون: كلّ مرجع معرفي لابد من عرضه على القرآن قبل أن يُمنح الحجّيّة ولا يكفي أن يكون السند صحيحاً لصيرورته حجّةً، حتى يواجه القرآن لنقول بعد ذلك: إنّ القرآن قطعيّ الصدور وظنيّ الدلالة، والحديث ظنيّ الصدور والدلالة، فيكون كلاهما ظنيّاً! الأمر الذي يفسح المجال لحاكميّة الحديث على القرآن أو مناظرته له.



أما أن يكون الحديث مطابقاً لحكم القرآن فلا ثمرة فيه، وأما أن يكون مخالفاً لكل القرآن فيكون مرفوضاً لوجود حكم القرآن، وإيضاً لعدم إمكان وجود حكمين في واقعة واحدة. (ظ: المرجع السابق)

هذ لو افترضنا أن القرآن قد بين جميع الأحكام، وأما إذا قلنا بأن القرآن فيه شرطٌ يسيرٌ من الأحكام، فما هو الصحيح والثابت في محله؟، فلا طريق أمامنا للكشف عن بقية الاحكام الكثيرة سوى الرجوع إلى السنة.

المبحث الثاني: أدلة النظرية

لأصحاب هذه النظرية أدلة قرآنية، وسيتم تناولها بالتفصيل ضمن المطالب التالية:

المطلب الاول: الأدلة القرآنية.

الدليل القرآني الاول: ما تضمنته الآيات القرآنية الشريفة من المنع من العمل بالظن، فقال سبحانه وتعالى في غير واحدة من آياته: (إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) (النجم: ٢٨)، ولما كانت الأغلبية العظمى في السنة نصوص آحاد، وفقاً لما نص على ذلك علماء الحديث، فتكون مفيدة للظن، فلا مجال للعمل على وفقها، للنهي الوارد في الآيات القرآنية.

فهو يعدون الحديث المروي، بل كل الروايات الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أخبار آحاد فهي من الظنون غير المعتمدة، ولا يمكن الأخذ بها والرجوع إليها.

ومن المعلوم أنه لا ربط لها بمسألة حصر الحجية في خصوص القرآن الكريم دون غيره، بل هي ناظرة إلى الرد على الكفار وذمهم الذين يتبعون الظن ويعولون عليه في قضايا مهمة، كأصول الدين من التوحيد والنبوة والمعاد، ويساعد على ذلك ملاحظة سياق الآيات القرآنية، ليكون قرينة على تحديد المراد، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى) (النجم: ٢٧)، "رداً لقولهم بأنوثية الملائكة بعد رد قولهم بشفاعتهم، والمراد بتسميتهم الملائكة تسمية الأنثى قولهم:

إن الملائكة بنات الله فالمراد بالأنثى الجنس أعم من الواحد والكثير" (الطباطبائي).
١٤٤٠. ٢١/١٩.

الدليل القرآني الثاني: إن مقتضى ما تضمنته مجموعة من الآيات الشريفة للقرآن الكريم بأنه أحسن الحديث مانع من ترك الإنسان له والاستناد إلى غيره ولو كانت النصوص الصادرة عن النبي(ص)؛ بل قد اعتبر القرآن الكريم الاستناد إلى شيء آخر غير القرآن الكريم ، تمسكاً بهو الحديث، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (لقمان: ٦)، فإن التعبير بكلمة ومن الناس حقيقة تنطبق على كل مجتمع بشري في أي زمان ومكان، أعرض عن الاعتماد على القرآن الكريم والاستناد إلى غيره وإن اختلفت الدوافع والأغراض في ذلك. إن اعتبار كون القرآن الكريم موصوفاً بأحسن الحديث لا يلغي البقية، فإن الوصف لو كان صيغة تفضيل فمقتضاه أن الباقي حسن، إلا أنه أحسن.

الدليل القرآني الثالث: يدعون أن القرآن فيه كل ما يحتاج إليه الناس في كل مكان وزمان، وقد أشار القرآن لذلك بقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩)، فقد نص الله سبحانه وتعالى وهو الصادق على أن القرآن نزل تبيناً وتفصيلاً لكل شيء، وأنه لم يفرط في شيء منه، بمعنى أنه لم يغفل كل ما هو ضروري وهام فلا يحتاج بياناً لعدم اشتماله على الغموض ولا يحتاج التفصيل لعدم وجود الإجمال فيه. فهو كتاب واضح ليس فيه شيء من الغموض فلا يحتاج بياناً.

وقد بين العلامة الطباطبائي في مقدمة الميزان، "أن يكون القرآن الذي يعرف نفسه بأنه هدى للعالمين ونور مبين وتبيان لكل شيء مهدياً إليه وبغيره ومستنيراً بغيره ومبيناً بغيره، فما هذا الغير؟ وما شأنه؟ وبما ذا يهدي إليه؟ وما هو المرجع، والملجأ إذا اختلف فيه؟ وقد اختلف واشتد الخلاف." (الميزان. ٤/١).

وبين متسائلاً في موضع آخر: "فالحق أن الطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود، وأن البيان الإلهي والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه، أي



إنه لا يحتاج في تبين مقاصده إلى طريق، فكيف يتصور أن يكون الكتاب الذي عرفه الله تعالى بأنه هدى وأنه نور وأنه تبيان لكل شيء مفتقرا إلى هاد غيره ومستنيرا بنور غيره ومبيناً بأمر غيره؟ (المصدر نفسه.) والآية تصف القرآن بكرائم صفاته فصفته العامة أنه تبيان لكل شيء و التبيان و البيان واحد - كما قيل - و إذ كان كتاب هداية لعامة الناس و ذلك شأنه كان الظاهر أن المراد بكل شيء كل ما يرجع إلى أمر الهداية مما يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ و المعاد و الأخلاق الفاضلة و الشرائع الإلهية و القصص و المواعظ فهو تبيان لذلك كله. و من صفته الخاصة أي المتعلقة بالمسلمين الذين يسلمون للحق أنه هدى يهتدون به إلى مستقيم الصراط و رحمة لهم من الله سبحانه يحوزون بالعمل بما فيه خير الدنيا و الآخرة و ينالون به ثواب الله و رضوانه، و بشرى لهم ببشرهم بمغفرة من الله و رضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم.

هذا ما ذكروه و هو مبني على ما هو ظاهر التبيان من البيان المعهود من الكلام و هو إظهار المقاصد من طريق الدلالة اللفظية فإننا لا نهتدي من دلالة لفظ القرآن الكريم إلا على كليات ما تقدم، لكن في الروايات ما يدل على أن القرآن فيه علم ما كان و ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة، و لو صحت الروايات لكان من اللازم أن يكون المراد بالتبيان الأعم مما يكون من طريق الدلالة اللفظية فلعل هناك إشارات من غير طريق الدلالة اللفظية تكشف عن أسرار و خبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها. (ينظر: الميزان. ١٢ / ١٦٨)

وقد قال تعالى: (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٨)، وهذه الآية التي يحتج بها المنكرون للسنة المكتفون بالقرآن مبيناً ومؤسساً ومشرعاً، وفيه بيان كل شيء غير أنهم تغافلوا عن السنة التي فيها مالم يبينه القرآن، أو أجمله ولم يتعرض لتفصيله.

ولو كان القرآن تبياناً لكل شيء لماذا لا يوجد بيان عدد الصلوات اليومية؟ أو نصاب الزكاة، أو مقدار زكاة الفطرة؟ أو مناسك الحج؟ ونجده في احاديث (صلى الله



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ هـ / ٢٠٢٤ م



عليه وآله)، الذي صلينا كما صلى واخذنا منه مناسكنا وعرفنا من خلال قوله وفعله
وتقريره كل مل يتعلق بأمور ديننا ودينانا، مما لا يوجد الا مجملا في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأدلة الروائية

الرواية الأولى: كما روي عن امير المؤمنين (عليهم السلام)، قال: (ذكر رسول الله
صلى الله عليه وآله) الفتنة يوما فقلنا: يا رسول الله، كيف الخلاص منها؟ فقال: بكتاب
الله فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ من كان بعدكم وحكم ما كان بينكم، وهو الفصل وليس
بالهزل، ما تركه جبار الا قصم الله ظهره ومن طلب الهداية بغير القرآن ضل وهو
الحبل المتين والذكر الحكيم والصرط المستقيم وهو الذي لا يلبس على اللسان، ولا
يخلق من كثرة القراءة، ولا تشيع منه العلماء ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لما سمعه
الجن (فقالوا انا سمعنا قرانا عجايبا)، وهو الذي ان قال صدق، وان حكم عدل، ومن
تمسك به هداه الى الصراط المستقيم). (النوري. ٢٣٩/٤)

الرواية الثانية: عن ابي عبد الله (عليهم السلام)، قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر
ما بعدكم، وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه (الكليني. ١٣٩٢ هـ. ٨١/١).
فالرواية الأولى صحيحة بنص رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لكنه موقوف على
البيانات النبوية بنص القرآن على ذلك" (نصيري: ص ٥٩، ١٣٩٧ هـ ش): (اذ قال
تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل: ٤٤).

المطلب الثالث: الأدلة الاجتهادية

الدليل الأول: انحصار الوحي بالقرآن، بدعوى أن القرآن الكريم هو النص
الوحياني الوحيد في الإسلام فيكون هو الجهة الموثوق بها وكيف يتسنى لنا مقارنة
النص الوحياني بغير الوحياني.

وهذا الرأي حجته داخضة من خلال القرآن فليس الوحي منحصر بالنص القرآن
فقوله تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ



وَإِيْتَاءَ الرِّكَاتِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ) (الأنبياء: ٧٣)، فمن يا ترى هؤلاء الائمة الذي يهدون ويوحى اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وإتاء الزكاة؟، ومعلوم "أن الوحيانية ليس سوى دليل امتياز، ولا احد يقول بامتياز السنة عن القرآن، حتى الاخباريين المتشددون لا يقولون بامتياز السنة عن القرآن، وانما الكلام في انحصار المتابعة في النص الوحياني، وليس بانحصار الوحي بالقرآن" (مرجع سابق الرابطة بين القرآن والسنة، ص ٠٦٠)، والقرآن الكريم يأمرنا باتباع السنة بنص قوله تعالى: (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (آل عمران: ١٣٢)، وقوله تعالى: (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (الانفال: ٤٦)، وغيرها من الآيات الآمرة بذلك، إضافة ان القرآن امرنا بكل ما أتى الرسول (صلى الله عليه وآله) به بدليل قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (الحشر: ٠٧)، وما اتانا الرسول (صلى الله عليه وآله) به اعم من كونه قرآناً، أو سنة. (نصيري. ص ٦٠).

الدليل الثاني: اعتبار السنة يعني القول بثنائية حكم الله، فمعنى افتراض وجود قول لكل حكم قضى فيه القرآن، اما أن يكون مطابقاً لحكم القرآن فلا ثمرة فيه، واما ان يكون مخالفاً لحكم القرآن، فيكون مرفوضاً، لوجود حكم القرآن وايضاً لعدم وجود حكمين لواقعة واحدة.

هذا اذا وجدت في القرآن احكام تفصيلية، لكل ما يحتاجه الانسان من تشريعات الهية، اما اذا كان القرآن مجملاً في كثير من احكامه ، بل هناك احكام لم يتعرض لها القرآن، "أما اذا قلنا ان القرآن قد بين شطراً يسيراً من الاحكام، كما هو الصحيح والثابت في محله، فلا طريق امامنا للكشف عن بقية الاحكام الكثيرة سوى الرجوع الى السنة." (المرجع نفسه.).

الدليل الثالث: عدم اهتمام النبي بكتابه السنة: وهذا ما ادعاه الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، والعدر الذي جاء به الخليفة في كلامه يشبهه ما في كلام بعضهم في تفسير نهي النبي عن الكتابة من أن نهيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كتابة الحديث كان لخوفه صلى الله عليه وآله وسلم من اختلاط الحديث بالقرآن، فلو كان كتابة الحديث



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ ١٤٤٦



وضبطه في الصحائف والجلود أمراً مرغوباً عنه فلماذا أملى النبي بنفسه كتباً في الشرائع والأحكام وجّهز بها رسله وعماله في الأقطار المفتوحة. (السبحاني. ٢٠٠١. ص ٤٥٥)

وهذه حجة ليس لها أي دليل؛ إذ كان النبي (صلى الله عليه وآله) حريصاً أشد الحرص على تدوين السنة فقد روى البخاري، عن أبي هريرة أنّ خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث عام فتح مكة بقتيل منهم قتلوه، فأخبر بذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فركب راحلته فخطب، فقال: إنّ الله حبس عن مكة القتل أو الفيل شك أبو عبد الله وسلط عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والمؤمنين، ألا وإنّها لم تحلّ لأحد قبلي ولم تحلّ لأحد بعدي، إلى أن قال: فجاء رجل من أهل اليمن، فقال: اكتب لي يا رسول الله فقال: اكتبوا لأبي فلان، إلى أن قال: كتب له هذه الخطبة. (البخاري. ١٣٧٧. ١/٢٩. ٣٠)

وعن أبي هريرة، يقول: "ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب" (المصدر نفسه. ٣٠/١)، و"عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس فلما اشتدّ بالنبي (صلى الله عليه وآله) وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده فقال عمر: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثُر اللغَط، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس، يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين كتابه." (صحيح البخاري. ٣٠/١).

وروي "عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: نكتب كلّ شيء سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال: اكتب، فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ حق. (الدارمي. ١٤٢١. ١/١٢٥)

وما رواه أبو هريرة، قال: "كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فيسمع من النبي الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي، فقال: يا رسول



اللَّهِ إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ الْحَدِيثَ فَيُعْجِبُنِي وَلَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله):

اسْتَعْنِ بِيَمِينِكَ وَأَوْمَأْ بِيَدِهِ لِلخَطِّ. (الترمذي. ١٩٧٥ . ٣٩/٥)

إلى غير ذلك من الروايات الحاثثة على كتابة السنة قولاً وتقريراً التي هي فوق المال الذي هو زينة الحياة الدنيا، وقد أمر سبحانه أن يكتب الدين وقال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَّرْتُمْ بَدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بِيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ إِلَى أَنْ قَالَ: وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ) (البقرة: ٢٨٢).

فالقرآن يحث على كتابة الدين وهو عقد بين شخصين لا غير فكيف بكتابة السنة التي ترتبط بمصير امة وتشريعاتها ومستقبلها كذلك مرتبط بقول وفعل وتقرير النبي (صلى الله عليه وآله)، ولكن الخلفاء أرادوا ان لا تكتب السنة لأسباب سياسية معروفة، وقد تضافر عن الخليفة الثاني من أنه أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: "إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً." (ابن سعد. ١٩٦٨ . ٣ / ٢٨٦)

ومعلوم "أن دعوى كتابة الحديث يوجب اختلاطه بالقرآن فهو اعتذار بوجه أسوأ، فإن القرآن معجزة بلفظه و معناه لا يشابهه غيره ولا يخالطه شيء" (السبحاني. ٢٠١٣ . ص ٣٢٤).

ومن ثم أن "تخصيص القرآن بالكتابة ذريعةً ودليلاً على أن الامتناع عن كتابة السنة، كان من أجل التخوف من اختلاطهما وأن إعجازه في بلاغته غير كافٍ لتمييزه عن السنة" (الجلالي. ٢٠١٣ . ص ٣٢٧)، "ونغمة الاشتغال عن القرآن، مصدرها المانعون عن كتابة السنة، كما هو واضح بأدنى التفات"، فلماذا أمر الشارع بكتابة القرآن، ونهى عن كتابة السنة وحرّمها؟، مع أن القرآن إذا كان نصاً مقدساً، فالسنة أيضاً مقدسة لأنها بيان للقرآن باعتراف جميع المسلمين؟ (المرجع نفسه: ص ٣٩٩).



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ ١٤٤٦



"فلو كانت المحافظة على الشريعة من خلال القرآن داعية إلى كتابته، فهي بنفس الملاك تستدعي كتابة السنة لاحتوائها على أكثر الشريعة فكيف ينهى عن كتابتها وتدوينها؟!، وأما التعبد بلفظ القرآن في التلاوة دون لفظ السنة، فإن ذلك أدى إلى إيجاب حفظه وتلقيه بالسماع والقراءة بالمشافهة، وأبعد من استلزام كتابته المعرّضة للتصحيف! فمن الغريب أن تجعل التلاوة من دواعي الكتابة، وأما التفرقة بين كتابة القرآن وكتابة السنة في الحكم: باعتبار حجم كلٍّ منهما، وأنّ القرآن صغير فكتابته لازمة والسنة كبيرة الحجم فلا تكتب" (المرجع نسه. ص ٤٠١)، "فالحقّ أنه لا وجه للمنع عن كتابة السنة على أساس عدم معرفة العرب للكتابة أو قلة الكتاب فيهم، بل الإسلام دين المدنية وأكّد على الكتابة ومحو الأمية بكل ما لديه من قوّة وحول وطول، فبدأ بأعزّ نصوصه وهو القرآن الكريم ثمّ أتبعه بالسنة على كتابتهما بأوسع نطاق، فسجلهما الصحابة بأمره وإرادته، ولم يألوا بعده جهداً في كتابتهما، لتبقى السنة إلى جنب القرآن أداةً ربّانيةً لهداية البشر، إلى يوم الحشر." (المرجع نفسه. ص ٤٠٣).

لكن الذين قاموا بهذه المحاولة من الصحابة قد تذرّعوا بالسببين التاليين:
أ- مخافة الكذب على الرسول (صلى الله عليه وآله) كما يظهر ذلك من بعض النصوص.

ب- التخوف من اتجاه المسلمين نحو الحديث وهجر القرآن. (نظر: الحسني. ١٤١٩. ص ١٣٥).

وقال محمّد عجاج الخطيب في كتابه السنة قبل التدوين: وقد كان تشدد عمر بن الخطاب للمحافظة على القرآن بجانب المحافظة على السنة، فقد خشى ان يشتغل الناس بالرواية عن القرآن الكريم، واراد ان يحفظ المسلمون القرآن جيداً ثمّ يعتنوا بالحديث الشريف الذي لم يكن قد دون كله في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله). (الخطيب. ٢٠٠٣. ص ٩٦)



الدليل الرابع: انحصار إرشادات النبي (صلى الله عليه وآله) بعصره: فالسنة عندهم ليس بمصدرٍ يمكن الرجوع إليه في فهم الإسلام، ويدعون انه ليس أمامنا بغية فهم الإسلام سوى القرآن الموجود بين أيدينا دون غيره من المصادر وما حدا بهؤلاء لاختيار ذلك منطلقان اثنان: (مرجع سابق. حيدر حب.).

المنطلق الأول: إنكار حجية السنة الواقعية فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد لفهم الدين؛ لأن السنة الواقعية ليست بحجة فحتى لو حصل لنا توفيق التشرف برؤية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وسمعنا منه قولاً أو رأينا منه فعلاً دون أن يكون لهما أثر في القرآن، فلا يمكن لنا أن نعتبرهما جزءاً من الدين نعم؛ قد يجب على سامع هذا القول أو رأي هذا الفعل الالتزام به إذا حمل دلالة إلزامية لكن هذا ليس من باب كونهما جزءاً من الدين في حالة خلو القرآن منهما، وإنما لكونهما أحكاماً ولأئمة حكومية صدرت من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي هو ولي أمر المسلمين في تلك الفترة الزمنية.

إذن فهؤلاء يؤمنون بمرجعية القرآن الكريم في مقابل إنكار حجية السنة الواقعية فحتى لو ثبتت السنة بطريق علمي كالتواتر، فلا دليل لدى هؤلاء على وجود إلزام في مثل هذه السنة ولا دليل على وجوب إطاعة ما جاء في هذه السنة على فرض ثبوتها، إلا من باب إطاعة ولي الأمر والحاكم ومن ثم فلا معنى للحديث عن حجية السنة النبوية بعد وفاة النبي عندهم (المرجع. نفسه.).

المنطلق الثاني: إنكار حجية السنة المحكية يذهب هؤلاء إلى أنه لو لم نحصر المرجعية المعرفية بالقرآن الكريم، بل اضفنا إليه السنة الواقعية أيضاً، أي ما صدر عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) حقيقةً وواقعاً فلو قُدر لنا الحضور في مجلس الرسول الأكرم وأمرنا حينها أمر ما، فينبغي علينا الالتزام به وعده جزءاً من منظومة الفكر الإسلامي ومفاهيمه وهذا هو الذي نصلح عليه بالسنة الواقعية: لكن خيبتنا تكمن في ابتعادنا عن عصر سنته الواقعية، وانسداد الطرق التي بتوسطها نكتشف سنته فلا يوجد لدينا أي طريق جازم وقطعي يؤكد لنا أن النبي قال كذا أو كذا، بل عموم سنته



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤هـ / ٢٠٢٤م



المحكيّة والمنقولة فيكتب التراث الإسلامي من الظنون التي لا ينبغي الركون إليها، وهي ظلماتٌ بعضها فوق بعض، ولا يتوافر طريقٌ للتأكد من سلامتها.(المرجع. نفسه).

ودعوى الانحصار هذه غير ناهضة كوننا لو تركنا إرشادات الرسول (صلى الله عليه وآله) لما بقية من شرائع الإسلام شيء واولها الصلاة التي هي عمود، ثم الزكاة المقترن قبول الصلاة به، وبعد ذلك مناسك الحج، وغيرها من الارشادات العبادية والأخلاقية والاجتماعية التي اوجبها الرسول (صلى الله عليه وآله) من خلال سنته الشريفة.

الدليل الخامس: عدم حجية السنة من حيث المتن والسند نتيجة الوضع والدس والتزوير: اذ يقولون بأن السنة لو كانت حجةً لدونها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو أمر بتدوينها، وحيث إنها لم تدون ولم يأمر بتدوينها، فهذا يعني عدم حجيتها.

"أن المتدبر في الأحاديث المسندة يرى أيضا كثيرا من الوضع والدس، ويشاهد الأقوال المتناقضة تنسب إلى صحابي واحد ويقرأ قصصا وحكايات يقطع بعدم صحتها، ويمر على أحاديث في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ لا تتفق مع سياق الآيات. ومن هنا نقل ان الامام أحمد بن حنبل قال: ثلاثة لا أصل لها المغازي والملاحم وأحاديث التفسير" (الطباطبائي. ١٤٠٨. ص ٥٨)، ومن خلال الوضع والدس، "فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل." (السيوطي. ١٩٩٠. ١٩ / ٣)

هذا ما عندهم كون عصر النص قد انتهى عندهم بعد استشهاد الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولمنعهم تدوين السنة الشريفة وفتحهم المجال لرواية الإسرائيليات، بحديثهم المزعوم حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، بينما تراث اهل البيت (عليهم السلام)، استمر عصر النص فيه الى حين الغيبة الكبرى وتكفل علماء المذهب بحفظ تراث أهل البيت (عليهم السلام)، بمصنفاتهم الكبيرة الزاخرة بالروايات الصحيحة والمتواترة، فقد روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: يا أبا محمد! إن عندنا الجامعة، وما يدرهم ما الجامعة؟ قال قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإملائه من فلق فيه،



وخط علي (عليه السلام)، بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى
الأرض في الخدش . (الكليبي. ١٩٩٢. ١ / ٢٣٩)

وروى أيضا عن أبي عبد الله (عليهم السلام)، قال: سمعته يقول، وذكر ابن شبرمة أين
هو من الجامعة إملاء رسول الله وخطه علي بيده فيها جميع الحلال والحرام حتى
أرش الخدش . (الصفار. ١٩٩٠. ص ١٤٦)

وإلى غير ذلك من الروايات الحاكية لخصوصيات الكتاب وميزاته الذي رواه
أصحاب المعاجم من محدثي الشيعة فتسمية أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تارة بكتاب
علي وأخرى بالجامعة وثالثة بصحيفة علي والكتاب يعرب عن عناية الإمام بضبط
أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، كما يعرب عن عناية سيد الثقلين، بكتابة حديثه،
ليبقى على مر العصور والقرو لا يعتره الوضع والدرس.

"وفي العصر الذي كان الناس يروون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: لا
تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه (الدارمي. ١٤٢١. ١ / ١١٩)، "وإن فريقا
من الصحابة استأذنوا النبي (صلى الله عليه وآله) أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم." (الطبري.
١٤٠٧. ٣ / ٢٧٣).

وفي العصر الذي كانت مدرسة الخلفاء تروج تقليل الرواية عن الرسول (صلى الله
عليه وآله)، وكلما يبعث الخليفة عمر بن الخطاب واليا إلى قطر أو بلد يوصيه في جملة
ما يوصيه بقوله: " جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن محمد وأنا شريككم"، وربما يعيب
إفشاء الحديث عنه (صلى الله عليه وآله) ويقول مخاطبا لأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، وأبي
الدرداء، وما هذا الحديث الذي تفشون عن محمد؟" (الهندي. ب. ت. ١٠ / ٢٩٣)
ففي تلك العصور الحرجة، نرى أئمة أهل البيت يحتفظون بكتاب علي،
ويعتمدون عليه في نقل الحلال والحرام، وبه يردون ما كان يصدر من الفتيا الشاذة
عن الكتاب والسنة ولا يقيمون للمنع عن الكتابة والرواية وزنا ولا قيمة.



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ ١٤٤٦



الدليل السادس: السنة أرضية تفرق المسلمين.

فعند انطلاقة مشروع العودة للقرآن من قبل القرآنيين الجدد ظهر هناك تيار واسع في العالم الإسلام ينتشر في أوساط المثقفين ويعتقد أن سبب خلافاتنا هو الأحاديث، وأنا إذا رجعنا إلى القرآن العزيز وتركنا كتب الأحاديث فسوف نحل مشاكلنا أو أكثريتها الساحقة، من هنا نجد في خطاب حركة الإصلاح الديني في شبه القارة الهندية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تركيزاً على أن حل خلافات المسلمين وعودة نهوضهم لا يكون إلا بالتخلي عن الحديث (مرجع سابق). حيدر حب الله).

ومن رحم هذا المناخ، أعني مناخ ما يُسمى بـ(الإصلاح الديني) إذ ولدت هذه الفكرة التي تقول: إن الحديث ليس مرجعاً، وعلينا العودة إلى القرآن؛ فإن حل مشاكلنا لن يكون إلا بالعودة إليه (مرجع سابق). حيدر حب الله).

فكيف ذلك والقرآن يأمر عند التنازع الرجوع إلى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء/٥٩)، "معنى الرد إلى الله هو إلى كتابه والرد إلى رسوله هو الرد إلى سنته، وهذا قول مجاهد وقتادة وميمون بن مهران والسدي والرد إلى الائمة يجري مجرى الرد إلى الله والرسول، ولذلك قال في آية أخرى: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء/٨٣)، ولأنه إذا كان قولهم حجة من حيث كانوا معصومين حافظين للشرع جروا مجرى الرسول في هذا الباب". (الطوسي. ١٢٠٩. ٢ / ٢٣٥)

الدليل السابع: عدم قطعيه السنة موجودة عن النبي فهي مجرد اخبار احاد بحجة التناقل الشفوي: "وتعني هذه الإشكالية من وجهة نظرهم أن القرن الهجري الأول لم يتوافر على تدوين، ولم تصل إلينا نسخة مدونة للسنة في تلك الفترة الزمنية، وكلها قيل عن قال، والتناقل الشفوي لا يمكن الاتكاء عليه، ولا يمكن الاعتماد في نقل



الأفكار بشكل مطابق و يقيني من خلال التناقل الشفوي عبر خمسة أشخاص ينقل الواحد منهم عن الآخر، فكيف يمكن ذلك وقد نقلت السنة عن طريق عدة أشخاص وعدم وجود تواتر في الحديث."

وهذا الدليل عارٍ عن الحقيقة، إنما هناك إشاعة فقط، لاسيما في التناقل الشفوي وقد تم التعرض لذلك بشكل مفصل أثناء الرد على الدليلين الثالث والخامس فتأمل.

المبحث الثالث: أثر نظرية محورية القرآن في التفسير والفقه القرآني.

إنّ مثل هكذا نظريات ورؤى وأفكار باطلة لا بد من أن تترك أثراً سلبياً على المجال الذي يمارس فيه أصحابها أنظارهم وأفكارهم الباطلة، والنظرية الآنفه الذكر يحاول أصحابها تطبيقها في التفسير القرآني، وفي استنباط الحكم الشرعي من القرآن مما سبب أثراً سلبياً واضحاً أدى الى حرف كثير من مرادات النص القرآني عن مسارها الصحيح، وسوف يتم بيان في مطلبين وكما يلي:

المطلب الاول: أثر نظرية محورية القرآن على تفسير النص القرآني

إن القائلين باستقلال القرآن، وعد احتياجه الى السنة في التفسير لا يصح لعدة أسباب منها:

١- إن هذا القول يتعارض مع ما جاء في القرآن الكريم كما في الآية: (٤٤) من سورة النحل وبنص حديث الثقلين الذي يدل على جواز الاخذ بأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) واهل بيته (عليهم السلام) في التفسير. (الآمدي. ١٩٨٠. ص ١٠٣)

٢- غفل أصحاب هذا القول إن تفسير القرآن لم يأتي لتوضيح معاني الالفاظ فقط، بل يتضمن قضايا كلية نحتاج الى بيانها كالصلاة والصوم والزكاة والحج... وغيرها وقد تكفلت السنة بذلك.



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ / ١٤٤٦



٣- إن تفسير القرآن من دون مراجعة احاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) التي تعتبر قرآن نقلية في التفسير يد من التفسير بالرأي المذموم صرح به العلماء. (الخوي. ١٩٧٥. ص ٢٦٩)

ومعلوم جذور هذا الرأي التاريخية تمت الإشارة اليه الى من رفع شعار حسبنا كتاب الله في عصر النبي (صلى الله عليه وآله) وكانت غايته كما هو معلوم فصل القرآن عن اهل البيت (عليهم السلام)، فكان رأي سياسي وعقدي من قبل أن يكون رأياً علمياً ثم تبعه القرآنيون المعاصرون بلا حجة، او دليل معتبر.

ذكر العلامة الطباطبائي رأيه حول ذلك في ثنايا تفسيره، بأن "المنهي عنه انما هو الاستقلال في تفسير القرآن واعتماد المفسر على نفسه، من غير الرجوع الى غيره، ولازمه وجوب الاستعانة بالغير بالرجوع اليه، وهذا الغير لامحالة، إما هو الكتاب، أو السنة، وكونه هو السنة ينافي القرآن ونفس السنة الآمرة بالرجوع اليه وعرض الاخبار عليه، فلا يبقى للرجوع اليه والاستمداد منه في تفسير القرآن الا نفس القرآن". (الطباطبائي. ١٩ / ٣).

ويتضح من رأي العلامة أنّ التفسير الاستقلالي غير صحيح لأنه تفسير بالرأي، وكونه يتنافى مع القرآن والسنة، ولا يبقى سوى القرآن نفسه لتفسير القرآن وهذا ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن.

ولكن هذا الكلام يختلف عن رأي العلامة من الاستدلال بالآية (٤٤) من سورة النحل الذي اعتبر فيه بيان النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) حجة في التفسير من حيث "ارتباط الروايات بالقرآن من جهة اعتبار السند سواء كان ذلك في السنة القطعية وغير القطعية، ومن ناحية حجية المتن في خصوص السنة غير القطعية بعد تأمين اصل اعتبار السنة بواسطة القرآن فسوف تكون حجة مستقلة غير منحصرة شأنها شأن القرآن. (جوادي. ١٩٩٩. ١ / ١٥٥)

"فالقرآن مستقل في جميع شؤونه وغير مرتبط بالغير، ولكن لأن الدين مرتبط بالقرآن وسنة المعصومين (عليهم السلام) في عرض رسالته النهائية، فمن هذا الجانب أن



القرآن والسنة لا يمكن ان يفترقا في بيان مفاهيم الدين في الاعتقاد والعمل، بمعنى ان القرآن يتكفل بتبين الخطوط الكلية للدين وتتعهد السنة ببيان التفصيلات وجزئيات الاحكام." (المرجع نفسه. ١ / ١٥٤).

ونلاحظ أن هذه الادلة تحبط نظرية القرآنيين وتفرغ محتواها وتجعلها نظرية لا هدف لأصحابها سوى إقصاء السنة وفصل العترة عن الكتاب لا غير.

وما تشتمل عليه الروايات من مضامين واضحة، الواردة عن أهل (عليهم السلام)، دليل متين على أن النبي (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، كانوا يفسرون القرآن كاملاً آية آية بما فيها من العلم والعمل، فقد وروي عن الامام علي (عليه السلام) أنه قال: ما من آية نزلت في ليل أو نهار أو بر أو بحر أو سهل أو جبل إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت. (الاحسائي. ١٤٠٥. ٤ / ٢٢١-٢٢٩)

وعن، "جعفر بن محمد بن شريح، عن حميد بن شعيب عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن علياً (عليه السلام) كان يقول: اقتربوا اقتربوا واسألوا فإن العلم يقبض قبضا ويضرب بيده على بطنه ويقول: أما والله ما هو مملو شحما ولكنه مملو علماً، والله ما من آية نزلت في رجل من قريش ولا في الارض في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل إلا أنا أعلم فيمن نزلت وفي أي يوم وفي أي ساعة نزلت (المجلسي. ١٩٨٣. ١ / ١٨٦)، فهل بعد حجة الامام علي (عليه السلام) حجة.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: "حدثنا مَنْ كان يُقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخر حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل" (الشيرازي. ٢٠٠٤. ٣ / ٣٢٤).

أما البيان فقد كان يبين آيات الذكر الحكيم بالتدرج: "قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهما كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة" (السيوطي. ١٩٨٠. ٤ / ١٧٥) "فمهمة الرسول الخطيرة هي توضيح



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / هـ ١٤٤٦



مفاهيم الذكر الحكيم وسبر أغواره ولأجل ذلك كان الرسول يفسر الآيات واحدة بعد أخرى أو مجموعة بعد مجموعة" (مرجع سابق. السبحاني. ص ٣١٠).

وعن بريد بن معاوية قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: قول الله: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (آل عمران / ٩)، قال: فرسول الله أفضل الراسخين قد علم جميع ما انزل عليه وما كاد لينزل عليه شيئا لم يعلمه، وأوصياؤنا من بعده يعلمون ذلك كله، فقال: الذين لا يعلمون ما يقول إذا لم يعلم تأويله نادى بهم الله يقولون آمنا به كل من عند ربنا، والقرآن له خاص وعام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه والراسخون في العلم يعلمونه (الطبري: ٢٠٠٣. ص ٣٠٠).

ونظرية محورية القرآن، تعد من النظريات القاصرة عن فهم النص القرآني والنهي عن معاملة النص في ضوابطها وبالتالي رفض ثمراتها، وما تؤول اليه من نتائج (ينظر. مناهج المتكلمين. ص ٩٧).

المطلب الثاني: أثر نظرية محورية القرآن على الفقه القرآني.

إنَّ نظرية محورية القرآن كما يُبَيَّن من خلال ادلة العلماء والمفكرين انها قاصرة عن فهم النص القرآني وتفسيره فهي- كما سيتبين- كذلك قاصرة عن تبين مجملات القرآن ومتشابهات النص القرآني فضلاً عن بيان الاحكام الجزئية المتعلقة بأفعال المكلفين فقد قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (النحل: ٨٩)، "فان في القرآن الكريم من اصول معارف الاسلام و شرائع احكامه، الاسس الاولية التي لا غنى لأي مسلم يعيش على هدى القرآن ويستظل بظل الاسلام، ان يراجع دلائله الواضحة ويتلمس حججه اللائحة، وان ابهم عليه شيء فليستطرق ابواب اهل الذكر ممن نزل القرآن في بيوتهم، فيهدوه سواء السبيل". (معرفة. ٢٠٠١. ٩/٨)

"نعم كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو المرجع الاول لفهم غوامض الآيات، وحل مشاكلها، مدة حياته الكريمة، اذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا



إِيَّاكَ الذَّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل: ٤٤)، فكان دوره (صلى الله عليه وآله) دور مرشد و معين، و كان الناس هم المكلفين بالتفكر في آيات الله و التماس حججه " (المرجع السابق. معرفة).

وقد فصل كل ما يتضمن من أحكام ظاهرية و باطنية بقوله و فعله و تقريره، و من خلال سيرته العطرة المرتبطة بوحى السماء، فقد " تصدى النبي (صلى الله عليه وآله) لتفصيل ما اجمل في القرآن إجمالاً بيان ما أبهم منه أما بياناً في أحاديثه الشريفة و سيرته الكريمة او تفصيلاً جاء في حل تشريعاته من فرائض و سنن و احكام و آداب، و كانت سنته (صلى الله عليه وآله) قولاً و عملاً و تقريراً، كانت كلها بياناً و تفسيراً لمجملات الكتاب العزيز، و حل مبهمات في التشريع و التسنين فقد كان قوله (صلى الله عليه وآله): صلوا كما رأيتموني اصلي شرحاً، و بياناً لما جاء في القرآن، من قوله تعالى: (أَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (الانعام / ٧٢)، و لقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (النساء / ١٠٣)، و كذا قوله (صلى الله عليه وآله): خذوا عني مناسككم بيان و تفسير لقوله تعالى: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ (آل عمران / ٩٧)، و هكذا فكل ما جاء في الشريعة من فروع احكام العبادات، و السنن و الفرائض و احكام المعاملات، و الانظمة و السياسات، كل ذلك تفصيل لما اجمل في القرآن من تشريع و تكليف. (ينظر. المرجع السابق. ٨ / ١٠).

"و هكذا كان الصحابة يستفهمونه كلما تلا عليهم القرآن او اقراهم آية او آيات كانوا لا يجوزونه حتى يستعلموا ما فيه من مرام و مقاصد و احكام ليعملوا بها و يأخذوا بمعالمها" (المرجع نفسه). و تترادف الروايات الدالة على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد بين كل ما في القرآن من أحكام من خلال سنته، و أضاف لها تفصيلات، و أحكام لم يتعرض لها القرآن الكريم، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأصحابه: صلوا كما رأيتموني اصلي، خذوا عني مناسككم). (مصدر سابق. المجلسي. ٨٥ / ٢٧٩).

فالسنة النبوية الشريفة " تكون تارة ناظرة إلى القرآن الكريم فتبين مجملاته كالزكاة و الصلاة و الصوم، أو تخصص عمومياته أو تقيد مطلقاته و أخرى تكون ناظرة



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ هـ / ٢٠٢٤ م



إلى بيان العقيدة والشريعة فحسب، وفي كلا القسمين تكون الصياغة والتعبير للرسول صلى الله عليه وآله ولكن المحتوى والمضمون وحي من الله سبحانه ولذلك تُعدُّ السنّة عدلاً للقرآن الكريم، فالصلاة والزكاة والصوم والحجّ أمور توقيفية لا تُعلم إلا من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله)، فهو المبيّن لحقائقها، وشروطها وموانعها" (ينظر. مرجع سابق. السبحاني. ٤ / ٣)، وقد ذكرنا أنه قال: صلّوا كما رأيتموني أصلي، وبذلك رفع الإجمال عن ماهية الصلاة المأمور بها، ومثلها باب الزكاة والحجّ وغيرها من أبواب الفقه. (ينظر. المرجع نفسه).

وقد ذكرنا ما روي "عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدّثنا من كان يقرؤون من الصحابة إنهم كانوا يأخذون من رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخر حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل" (مصدر سابق. المجلسي. ٨٩ / ١٠٧).

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يعلم أصحابه الأحكام الفقهية وتفصيلاتها التشريعية ويثني عليهم إذا فهموا وحفظوا عنه فقد "روي أنّ رجلا تعلّم من النبي (صلى الله عليه وآله) القرآن، فلما انتهى إلى قوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) قال: يكفيني هذه وانصرف فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): انصرف الرجل وهو فقيه" (المصدر السابق نفسه).



الخاتمة

إنَّ النظرية التي سماها أصحابها بنظرية محورية القرآن، وعنوا بها إتباع القرآن كمرجع لهم في كل شيء دون غيرها وعللوا ذلك بأسباب وادلة التي رأوا أنها صحيحة بحسب اعتقادهم فهي نظرية قاصرة عن فهم النص القرآني وتفسيره وقاصرة عن استنباط احكام الشريعة من القرآن ومن مضانها الحقيقة إذ يرى أصحابها بعين واحدة ويتكوّنون على جانب واحد دون المتكأ الآخر، والذي يتركز على جانب واحد مهتد بالسقوط لأقل مزلق، او ادنى عثر، ثم انها مخالفة للنصوص القرآنية التي يستدلون بها ويتكوّنون عليها مثل قوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر/٧)، وخصصوها بلا أدنى دليل وقوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم: ٣، ٤)، ومعلوم لدى الطيف الواسع من المسلمين ان هذه الآيات تدل على وجوب الرجوع الى السنة الشريفة ودليل من ادلة حجيتها في التفسير والتشريع وغيره.

ومن المعلوم كذلك أن السنة بينت عدد الصلوات الخمس المفروضة على كل مسلم مكلف، ولم يكن في القرآن بيان لذلك، وكذلك الحج من احرام وطواف وسعي والوقوف في عرفات والمكوث في منى ومزدلفة والتضحية ورمي الجمرات والسعي والصلاة في مقام ابراهيم وغيرها من المناسك التي اداها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وامر باتباعه، وغيرها من الفرائض التي لم يفصلها القرآن، فكيف لهؤلاء القرآنيين ان يصلوا ويحجوا، ويؤدون الزكوات المفروضة عليهم، بغير معرفة تفصيلاتها من السنة الشريفة.

فإن الوهم والاتباع الاعمى لنظرية غير مكتملة الاركان والأدلة وبلا حجة يؤدي الى التيه والضلال الذي أكد عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث الثقلين.

والحمد لله رب العالمين



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الاحسائي. (١٤٠٥هـ). *عوالي النثالي* (الطبعة الاولى). قم، ايران: سيد الشهداء.
٢. الاعرجي. ستار. (٢٠١٧). *منهج المتكلمين* (الطبعة الاولى). كربلاء، العراق: العتبة العباسية.
٣. الآمدي. (١٩٨٠). *التفسير العلمي للقرآن* (الطبعة الاولى). دمشق، سوريا: دار الفرات.
٤. البخاري. (١٣٧٧هـ). *صحيح البخاري* (الطبعة الاولى). مكة: مكتبة النهضة.
٥. بخش، خادم حسين. (٢٠٠٠). *القرآنيون* (الطبعة الاولى). قم، ايران: مكتبة الصديق.
٦. الترمذي. (١٩٧٥). *سنن الترمذي* (الطبعة الثانية). حلب: مطبعة الباي.
٧. الجلاي، محمّد رضا الحسيني. (٢٠١٢). *تدوين السنة* (الطبعة الاولى). قم: دار الحديث.
٨. جوادي، آمل. (١٩٩٩). *تسنيم* (الطبعة الاولى). قم، ايران: نشر اسراء.
٩. الحسيني، هاشم معروف. (١٤١٩). *تاريخ الفقه الجعفري*، (الطبعة الاولى). (متعددة، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتاب الاسلامي.
١٠. ابن حنبل. (١٩٧٥). *مسند احمد* (الطبعة الاولى). بيروت: دار صادر.
١١. حيدر حب الله. (٢٠٠٣). *القرآنيون*. مركز بيروت لدراسات الشرق الاوسط، بلا.
١٢. الحيدري، كمال. (٢٠٢٢). *اصول التفسير والتأويل* (الطبعة الاولى). قم، ايران: مكتبة اضاءات.



١٣. الخطيب، محمد عجاج. (٢٠٠٣). السنة قبل التدوين (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: دار الكتب.
١٤. الخوي. (١٩٧٥). البيان (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: دار الزهراء.
١٥. الدارمي. (١٤٢١هـ). سنن الدارمي (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: دار ابن حزم.
١٦. الذهبي. (١٩٧٠). تذكرة الحفاظ (الطبعة الاولى). بيروت: مؤسسة الاعلمي.
١٧. السبحاني، جعفر. (٢٠١٣). الحديث بين الرواية والدراية (الطبعة الاولى). قم، ايران: مؤسسة الامام الصادق ع.
١٨. السبحاني، جعفر. (٢٠٠١). مفاهيم القرآن (الطبعة الاولى). قم، ايران: مؤسسة الصادق ع.
١٩. ابن سعد. (١٩٦٨). الطبقات الكبرى (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: دار صادر.
٢٠. السيوطي. (١٩٨٠). الاتقان في علوم القرآن (الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: الرسالة.
٢١. الشيرازي، ناصر. (٢٠٠٤). الامثل (الطبعة الاولى). قم، ايران: قسم الترجمة والنشر لمدرسة الامام امير المؤمنين ع.
٢٢. الصفار، محمد بن الحسن. (١٩٩٠). بصائر الدرجات (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: مؤسسة الاعلمي.
٢٣. الطباطبائي. (١٤٠٤هـ). الميزان (الطبعة الاولى). بيروت: مؤسسة الاعلمي.
٢٤. الطباطبائي، محمد حسين. (١٤٠٨هـ). القرآن في الاسلام (الطبعة: ١). طهران، ايران.



العدد: ٤٩
السنة: ١٩
٢٠٢٤ / ١٤٤٦ م



٢٥. الطبري. (١٤٠٧هـ). التاريخ (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
٢٦. الطبري. (٢٠٠٣). بشارة المصطفى (الطبعة الاولى). قم، ايران: مؤسسة النشر الاسلامي.
٢٧. الطوسي. (١٢٠٩هـ). التبيان (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: احياء التراث.
٢٨. العربي، عمار، <https://www.aljazeera.net>. (بلا تاريخ).
٢٩. عربي، عمار، القرآنيون الجدد وقاحة في ثوب ديني، <https://www.aljazeera.net<blogs>. (بلا تاريخ).
٣٠. القرطبي. (١٩٨٠). جامع بيان العلم (الطبعة الاولى). بيروت: دار الكتب.
٣١. الكليني. (١٣٩٢). الكافي (الطبعة الرابعة). قم، ايران: دار الحديث.
٣٢. المجلسي، محمد باقر. (١٩٨٣). بحار الانوار (الطبعة الثانية). بيروت، لبنان: الوفاء.
٣٣. المدرسين. (٢٠٠٣). روايات المدرسين (الطبعة الاولى). قم: بدون ناشر.
٣٤. معرفة، محمد هادي. (٢٠٠١). التفسير والمفسرون (الطبعة الاولى). مشهد، ايران: الجامعة الرضوية.
٣٥. نصيري. (١٣٩٧ هـ ش). الرابطة بين القرآن والسنة (المجلد ١). بيروت: مؤسسة الاعلمي.
٣٦. النوري. (٨٠٤هـ). مستدرک الوسائل (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: مؤسسة آل البيت ع.
٣٧. الهندي، المتقي. (بلا). كنز العمال. (الطبعة الاولى). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

